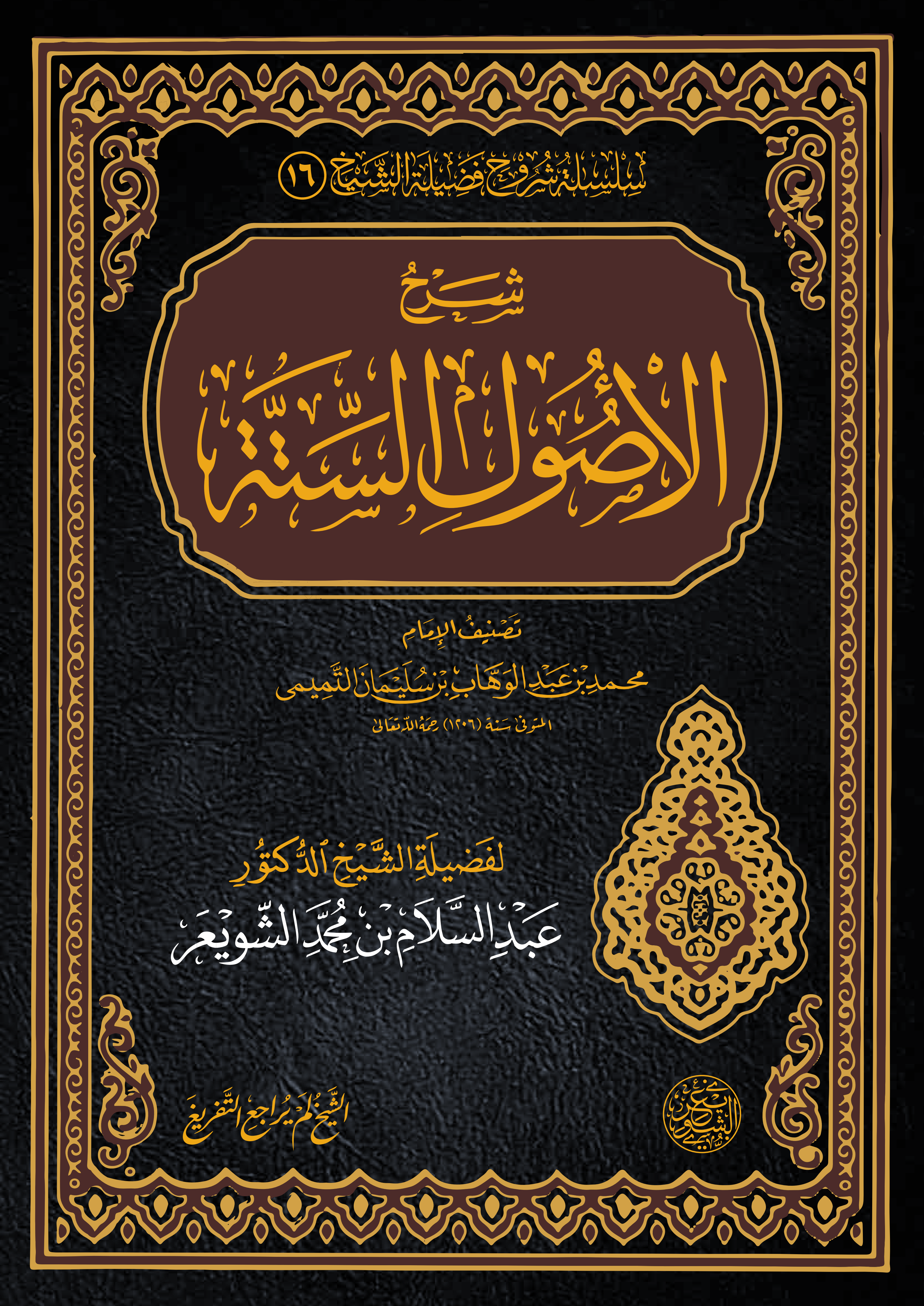

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (١٦)
شرح
الأصول الستة
تصنيف الإمام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى
لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر
الشيخ لم يراجع التفريغ





alshuwayer9







00966558883286

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (١٦)

شرح
الأصول الستة

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى



قال الشّيخ محمد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى:

(مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَةِ عَلَى قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ: سِتَةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ، وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ؛ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ).

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحد لا شريك لهُ، وأشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ أوردها الشّيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى؛ أورد فيها «ستةَ أصولٍ» عظيمةٍ مفيدةٍ، وقولهُ إنّها: (ستةُ أصولٍ) هذا ليس على سبيل الحصر؛ وإنّما هو على سبيل الإيراد لهذه السِّتة، فقد يوجد غير هذه السّتة من الأصول العظيمة المفيدة؛ التي وضّحها القرآن أتمَّ توضيحٍ.

❖ ولكن سبب إيراد الشّيخ لهذه السِّتةِ بالخصوص لكون هذه الأصول السِّتةِ اجتمع فيها عددٌ من الأمور المشتركةِ بينها.

۞ **فأوّلُ هذه الأمور المشتركةِ بين هذه الأصول السِّتة؛** أنّ هذه الأصول السِّتة قد وردت النُّصوص الشّرعية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنّة النّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تقريرها، وهذا الإيراد في النُّصوص الشّرعيةِ، يبلغ حدَّ التواتر، **ونقصد بالتّواتر؛ أي:** التّواتر المعنوي؛ **إذ التواتر نوعان:** تواترٌ معنويٌّ، وتواترٌ لفظيٌّ.

۞ **فالتّواتر اللّفظي:** له دِلالته التي تبسط في كتب أصول الفقه على نزاعٍ بين طريقة علماء الحديث وغيرهم في الدّلالةِ على معنى هذا اللّفظ؛ وهو التّواتر.

۞ **وأمّا التّواتر المعنوي:** فهو أن تكون معاني النُّصوص الشّرعية قد جاءت مُقرِّرةً ومؤكِّدةً ومثبتة لمعنى، فهذه النُّصوص تؤكِّد المعاني، هذه المعاني إذا تكاثرت النُّصوص الشّرعية على إثباتها وتأكيدها، فإنّها تكون متواترةً تواترًا معنويًا.

والتّواتر المعنويُّ في الشّريعة كثيرٌ جدًا، وكثيرٌ من أهل الكلام يقصُرون التّواتر على التّواتر اللّفظيِّ ويخصُّونه بمعنًى خاصٍ بهم دون من عاداهم، **بينما المعتبر نوعا التّواترِ؛ المعنوي واللّفظي،** وهذه أمثلةٌ للمعاني المتواترة التي وردت بها النُّصوص الشّرعية، ولذلك **يقول الشّيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى:** (**سِتَّةُ أُصُولٍ**

بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانـًا وَاضِـحـًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُونَ)؛ **أي**: من بيان الله وإيضاحه لهذه الدَّلائل سواءً بالنَّصِ الذي لا يحتمل التأويل، أو بالظّاهر بالعموم وغير ذلك من دلائل الظّاهر، أو بالمعاني التي تُفهم من عموم الخطاب ما يبلغ حدَّ التواتر المعنويِّ في تقريرها، هذا المعنى الأوّل الدّالُّ على هذه السِّتة.

❁ **المعنى الثّاني الذي تشترك فيه هذه الأصول السِّت**: أنّ هذه الأصول السّتة فيها من حاجة النّاس العظيمة ما في تقريره واستقامتهِ، استقامةُ كثيرٍ من أمور دينهم ودنياهم معـًا، إذ الدُّنيا تبعٌ للدّين، فإذا صلح الدّين صلحت الدُّنيا.

❁ **والأمر الثّالثُ ما نبَّه عليه الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى**: أنّ هذه الأصول السّتة مع توضيح الله عَزَّوَجَلَّ لها إلّا أنه قد غلَط فيها كثيرٌ من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم.

وهذا يدلُّنا على أنَّ كُلَّ من رام الهدى وابتغى الفلاح، وابتغى الوصول للتَّعريف بالله عَزَّوَجَلَّ بغير **طريق الوحيين**: الكتاب والسُّنة فإنّه على خطرٍ عظيمٍ، فلا طريق أدلَّ على الله من كلامهِ، ولا طريق يُعرِّف بالله عَزَّوَجَلَّ أكثر من وحيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك فإنَّ اكتفاء المرءِ بعقلهِ، وإعجابهُ بنفسهِ هو أوَّلُ الهاويةِ التي تُؤدِّيه

للضّـلال بل قد يكون الضّـلال في أصـل الدِّينِ -نسـأل الله السّـلامةَ والعافيةَ- بسبب اكتفاءِ المرء على عقلهِ، ولذا **قال الإمام الشّافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى**: «اعلم أنَّ لعقلِكَ مُنتهى كما أنَّ لنظرِكَ مُنتهى».

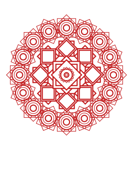
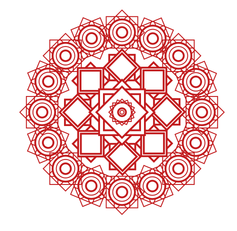
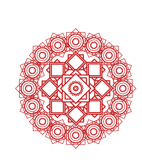
فالعقل قاصـرٌ، وعقل ابن آدم حتَّى في التّصـور إلى عهدٍ قريبٍ كان التّصـور قاصـرًا لبعضِ المُخترعات الحديثة، فبعض المحدثين وإن أُعجب بعقلهِ لو لمْ يتصـوَّر تصـوُّر هذا المخترع لما تصـوَّر وجودهُ، فعقل الآدميِّ ضـعيفٌ، خُلق الإنسـان بجميع أعضـائه، وجميع صـفاته، وجميع أحوالهِ ضـعيفًا، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل فيه الكِبر، وجعل في بني آدم العُجب والعجب فرع الكِبر، فرُبما عُجب بعقله وبرأيه وترك كلام الله عَزَّوَجَلَّ ووحيَهُ خلف ظهرهِ.

إذن: هذه الأمور الثّلاثة هي القواسم بين الأصول السِّتة التي أوردها الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

طبعا قوله: (**إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ**)؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ؛ فـأكثر من في الأرض على ضـلالٍ، ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعـام: ١١٦]، أكثرهم على ضـلالٍ، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، وهذا الاستثناء وإن كان من صفةٍ إلّا أنَّ الأصل في

الاســتثناءِ أنّه لا بُدَّ أن يكون أقلَّ من المُســتثنى منهُ، وإن كان من أهل العلم من استثنى الاستثناء من الصّفاتِ، فلا يلزم فيه ذلك.

ولكنَّ القاعدة العامّةَ تدلُّ على أنّ الذين آمنوا هم أقلُّ النّاس، كما في الحديث قال النّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَة لِخَازِنِ النَّارِ: اِبْعَثْ بَعْثَ النَّارِ فِي كُلِّ مِئَةٍ تِسْـعَةً وَتِسْـعِينَ شَـخْصـًا**»، في كُلِّ مئةٍ من النَّاسِ تسـعةٌ وتسعون للنَّار وواحدٌ إلى الجنَّةِ.

المَتْنُ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ مُحَمْدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَةِ عَلَى قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ: سِتَةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ، وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ؛ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأَصْلُ الأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ.

الأَصْلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَى عَنْ التَّفَرُّقِ فِيهِ؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمِينَ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصارَ الِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ!

الأَصْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا -وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًا-؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟!

الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ

بَيَّنَ اللهُ تَعالَى هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ [البقرة: ٤٧]، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلْعَامِيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، فَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلالاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ؛ هُوَ الفَقِيهِ العَالِمُ.

الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ، وَتَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا: آيَةٌ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَآيَةٌ فِي يُونُسَ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَى: أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَلَيْسَ مِنْهُمْ! يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ

وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ؛ وَهِيَ: أَنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَهُوَ المَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا -أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ!-، فَإِنَّ لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ؛ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا -لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ!- وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا؛ فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ - لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا!-. فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، وَخَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٨ - ١١].

آخِرُهُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الشَّرح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأَصْلُ الأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ).

يقول الشّيخ: (الأَصْلُ الأَوَّلُ:): وهذا أصلُ الأصول كلها بلا استثناءٍ؛ (إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

وعندما نقول إخلاص الدّين: يشمل الإخلاص في أفعال القلب واعتقادهِ وأفعالِه، ويشملُ

أيضـاً أفعال الجـوارحِ فيـدخل في ذلـك أنـواع التّوحيـد الثّلاثـة؛ مـا يتعلّقُ بـإفراد الله عَزَّوَجَلَّ في ربوبيتـه جَلَّوَعَلَا، ومـا يتعلَّق بـإفراده جَلَّوَعَلَا في أسـمائه وصـفاته، مـا يتعلـق بـإفراده جَلَّوَعَلَا في أفعال العباد الذي يُسمّى بتوحيد الإلهية.

فهذه الأنواع الثّلاثةُ إخلاصها لله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُضرب لله الأمثال، ويُنعتُ سبحانه بنعوت الكمال التي وصف بها نفسهُ وأخبر بها نبيُّهُ عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، ولا يُشرك أحدٌ من الخلقِ بشيءٍ من أمور الرُّبوبيةِ، أو من الأسماءِ والصِّفات، أو يُصرف له شيءٌ من أفعال العبادِ؛ التي هي الإلهية، وهذا معنى قوله: (**إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ**).

قال: (**وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ**)؛ معرفة الشِّرك لازمٌ لمعرفةِ ضدِّهِ، إذ بضدِّها تتميَّزُ الأشياءُ، والقرآن **كما قال ابن القيِّم وأخذها الشّيخُ منهُ**: «من أوّله إلى آخره –بلا استثناءٍ– كُلُّه لتقرير هذا الأصل وهو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ».

فالقرآن:

- إمّا أمرٌ بالتوحيد.
- أو نهيٌ عن ضدِّهِ وهو الشِّرك.
- أو بيان حال الموحّدين المؤمنين.
- أو بيان حال ضدِّهم وهم المشركون والمنافقون، وهذا الحالُ إمّا بيانٌ لحالهم في الدُّنيا أو بيانٌ حالهم في الآخرة، كما أنّ القرآن قد يحوي أحكام المكلّفين المؤمنين في الدُّنيا؛ وهو الحلال والحرام، فالقرآن كُلُّه في تقرير هذا الأصل.

قال: (**مِنْ وُجُوهٍ شَتَى**) بل القرآن كُلُّه على ذلك.

(**بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ**): وهذا يدلُّنا أيضًا على أمرٍ آخر، **وهو أنّ معرفة الله** عَزَّوَجَلَّ **تعرفُ بثلاثة أمورٍ كُلُّها دالّةٌ عليه:**

- الوحيُ.
- والفطرةُ.
- والعقلُ، كُلُّ هذه الثّلاث تدلُّ على الله عَزَّوَجَلَّ.

فقد يدلُّ على الله عَزَّوَجَلَّ العقل؛ فيعرف المرءُ ربّه بالرّبوبية بالعقل وحدهُ، ولا يكتفي به بدون السّمعِ، وقد يكتفِ بالسّمع وحدهُ، وأمّا الفطرة فهي دالّةٌ على إثبات الألوهية -ولا شكَّ- والرّبوبية كذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ**).

يقول الشّيخ: (**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ**)؛ قولهُ: (**الأُمَّةِ**) تحتمل أن تكون (أل) للعهد؛ **أي**: كُلّ أمةِ بني البشر، وعلى ذلك فإنّ هذا حكايةٌ عن حال البشر من بني آدم من أوّل الخليقة إلى الآن؛ وهو كذلك؛ وهو احتمالٌ صحيحٌ، لأنَّ أوَّل الشّرك ظهر قبل نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الصّالحين الذين عظّموهم وأجلّوهم كما في حديث ابن عبّاسٍ.

ويحتمل أن تكون (أل) هنا للعهد؛ **أي**: العهد في أمّة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو كذلك فإنَّ مبدأ الشِّرك والخطأ في التوحيد بسبب تعظيم الصّالحين، تعظيم الصّالحين هذا هو مبدأ

كثيرٍ من الضّلال.

ولذلك يقول الشّيخُ: (ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ)؛ **يعني يقول:** أنه جعل الإخلاص هو تنقُّص الصالحين والتّقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشِّرك بالله في صورة محبّةِ الصّالحين؛ **فجعلهم يظنّون أنَّ محبتهم للصّالحين هي من العمل المُطلق النَّافع**، فمن شدَّةِ مُغالاتهم في محبّةِ الصّالحين وقعوا في الشِّركِ وظنُّوا أنَّ من تنقَّص بعض الصّالحين بصرفِ بعض نُعوتِ الألوهيةِ عنهم أنَّها ليست من الإيمان.

ولذلك النّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ»، فلذلك لبّس إبليس على بني آدم هذا التّلبيس العظيم، فجعل إبليس من تنقيص الصّالحين عن منزلة الألوهية ظنُّوه نقصًا، وأنَّ رفع الصّالحين لمرتبةِ الألوهيةِ كما قال النَّصارى في عيسى بن مريم جعلوه توحيدًا وإخلاصًا.

ومثلهُ أيضًا ما يتعلَّق بالمحبَّةِ وتعظيمهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى:**

(الأَصْلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَى عَنْ التَّفَرُّقِ فِيهِ؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُّ).

يقول الشّيخ: الأصل الثّاني من الأصول السّتة التي جاءت الأحاديث متكاثرةً، متتابعةً، متواترةً في الدِّلالة عليه ما (أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَى عَنْ التَّفَرُّقِ فِيهِ؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُّ).

الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فأمر بالاعتصامِ بحبلهِ، **وحبل الله** عَزَّوَجَلَّ **جاء في تفسيره عن السّلفِ**: أنّهُ القرآن، أو أنّه السُّنة، أو أنَّه الإسلامُ، أو غير ذلك من المعاني وكُلُّها صحيحةٌ.

فيكون كُلُّ قدر عرَّف حبل لله عَزَّوَجَلَّ ببعضِ صوره، فهو من تعريف الشّيءِ ببعض صورهِ.

وبناءً على ذلك: فإنَّ التّمسُّك بالدين كُلِّهِ والاعتصامِ به، هو الاجتماع، **ومن خصائص أهل السُّنة أنهم يُنعتون بكونهم**: أهل سُنةٍ وجماعةٍ، فالجماعةُ رُكنٌ في اسمهم، إذ هم أهل السُّنةِ والجماعةِ، لأنَّه من الأركان والمعاني التي نصَّ عليها الشّرع في مواضع كثيرةٍ.

وقد كان الصّحابة كعمر وغيره يقولون في الخطبة دائمـًا: «وعليكم بالجماعةِ؛ فإنَّ يد الله على الجماعةِ، ومن شذَّ شذَّ في النَّار»، ورُويَ مرفوعـًا إلى النّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فدلَّنا ذلك** على تأكيد هذا الأصلِ، ولزوم تعريف النَّاس عوامهم وخواصهم بالجماعة، فلا بُدَّ من جماعة المسلمين، إذ «**يَدُ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ، وَمَنْ تَرَكَ الجَمَاعَةَ وَفَارَقَهَا شِبْرًا مَاتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً**».

والأحاديث في الجماعةِ والمعاني التي دلّ عليها القرآن في الدّلالة على الاجتماع وعدم الاختلاف متكاثرةٌ جِدًا في الدِّلالةِ على هذا المعنى.

قال المُصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالذِينَ تَفَرَّقُوا وَاِخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا**).

مثلما أمرنا بالتَّوحيدِ ونهانا عن الشِّرك، أمرنا بالاجتماع ونهانا عن التّفرُّقِ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمِينَ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصارَ الِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ!)

۞ **هذه المسألة من المسائل اللّطيفة التي أشار لها الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى**: إنّ السُّنة ورد فيها من العجب العُجابِ في ذلكَ، أغلب الأحاديث المتعلّقة بالجماعة والاجتماعِ موجودةٌ في كُتب السُّنة المشهورة ومنها «الكُتب السّتة»، وعلماء المسلمين الذين صنَّفوا في السُّنة كأبي بكرٍ الآجُري، ومن بعده كاللّالكائي، وقبلهم عبد الله بن أحمد، وحرب الكِرمانيُّ وغيرهم كُلُّهم يعقدون بابًا، أو يعقدون جمعًا من الآثار في الدِّلالة والتَّأكيد على هذا الأصل؛ وهو الجماعة.

ومن تتبّع الآثار في ذلكَ؛ فإنّه سيرى العجب العجاب، **لذلك أصبح العُلماء يقولون**: «أهل السُّنةِ والجماعة»؛ لظهورهم بذلك.

وهذا الأصل؛ وهو الأصل الثّاني: الجماعةُ تميّز بهِ المُتمسِّكون بالسُّنةِ عن غيرهم، **كما قال بعض السّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى**: «ففرَّق أهل الأهواءِ واتَّفقوا على السّيفِ»؛ وهو الخروج عن الجماعة.

ولذلك فإنّك إن تأمّلت الأحاديث الواردة في الجماعة، وقد جمعت من كثيرٍ من المعاصرين ومن قبلهم ترى العجب العُجاب كما قال المُصنِّفُ.

ثُمّ قال الشّيخ: (ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ)؛ **أي**: حينما اختلَّ هذا المعنى؛ (إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقِ فِي أُصُولِ

الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ)؛ هذه مسألةٌ سأتكلّم عنها بعض التّكلُّم بما يسَّر اللهُ.

وهو قضيّةُ الاختلاف في أصول الدّين، والاختلاف في فروع الدّين:

كلمة أصول الدّين وفروعه؛ هذه من الكلمات الفضفاضة، وقد ذكر الشّيخ تقيُّ الدين في أكثر من كتابٍ؛ منها كتاب «الاستقامة»، ومنها «الكَيْلانية»، ومنها «بيان التّلبيس» وفي غيره أنَّ هذا المعنى غير منضبطٍ؛ مقابلة الفروع للأصول؛ فإنَّ كثيرًا من أهل الأهواء والفرق يذكرون أشيَاء ويسمُّونها من أصول الدين؛ ويبنون على ذلك أنّ من خالف في هذا الأصل فإنّه لا يكون صحيح الإسلام؛ **فيقولون**: «إنّ من خالف في أصول الدين فليس بمسلمٍ».

قال: «وكثيرٌ ممّا يذكرونه ليس في الوحيَيْن»؛ لا في الكتاب ولا في السُّنّة، «كما إنّ كثيرًا ممّا يذكرونه إنما هو اجتهادٌ منهم وظنٌّ»، **ولذلك فإنّ مُسمّى أصول الدين في استخدام كثيرٍ من النّاس غير منضبطٍ**.

نعم ورد هذا المصطلح؛ أصول الدِّين عن بعض السّلف، فقد جاء في رسالة الرّازي أبي زرعةَ، وأبي حاتم تسمية مسائل الاعتقاد بـ «أصول الدّينِ»، لكنَّهم لمَّا ذكروا مسائل أصول الدين أوردوا في هذا الكتاب بعضًا من المسائل الفُروعية الفقهية؛ مثلُ لمسحِ على الخُفيَّن، وغيره مما هو شعارٌ لأهل السُّنةِ.

ولذلك يقول الشّيخ تقيُّ الدين: «إنَّ كثيرًا من المسائل تُسمَّى فروع الدِّين وأصول الدين هي مسائلُ متداخلةٌ»؛ فوجود مصطلح للتّمييز بينهما **يقول**: «كثيرٌ من النّاسِ قد لا يُحسن التّمييز بين الأصول والفروع».

والشّيخ قرّر هذا -ربّما- في عشرات المواضع، يُؤكِّد على هذا المعنى؛ أنَّ كلمة أصول

الدين عند كثيرٍ من الفِرق كلمةٌ غير منضبطةٍ، فيدخلون فيها أشياءً ليست من الدّين بالكُلّية، شيءٌ لم نُؤمر بمعرفته؛ بل نحن مأمورون بالإمساكِ عنهُ، لم نؤمر؛ لأنَّ من الإيمان بالله الجهلُ بما لمْ يُخبر به عن نفسهِ، فلسنا مأمورينَ بالبحثِ عمّا لم يُخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ به عن نفسهِ.

هُم يقولون: لا؛ هذا من أصول الدِّين، والذي فهمناه يجبُ أن تتعلّمهُ، في الطّريقة الفلانية أو كذا.

فيذكرون في نُعوت الجبَّار أشياء الله أعلم بصحتها من عدمها -فنسكتُ-؛ لذلك اعتقاد أهل السُّنة في صفاتِ الجبّار جَلَّوَعَلَا على سبيل المثال: **هو الإثباتُ المُفصّلُ والنّفيُّ المجملُ كما جاء به الوحيانِ**، بخلاف طريقة غيرهم من حيثُ النّفيُّ المُفصّل والإثباتُ المجملُ.

وهذا وقوفٌ مع ما ورَدَ به النّصُّ في الكتاب والسُّنّة مع مراعاةٍ لما جاء فيهما، **هذا هو الحقُّ**.

وقول المصنِّف: (**الِافْتِرَاقِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ**)؛ **مراده بذلك**: في مسائل الاعتقادِ، ومسائل الأفعال؛ الأفعالُ غير الاعتقادية، هذا مُراد المُصنِّف: (**فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ**).

وهو قريبٌ من المعنى الذي أوردهُ أبو زُرعة وأبو حاتِم الرّازيانِ.

يقول: إنَّ كثيرًا من النّاس يجعلون في مسائل الاعتقاد مسائل ليس صحيحةً، ويُوالون ويُعادون عليها، ومِثله في مسائل الفروعِ، ففي مسائل الفروع من يتعصّبُ لرأيٍ ويتحمَّسُ له ويُجزم بِهِ، وأنَّ من عاداه ليس بصحيحٍ على سبيل الاطلاقِ، فلا شكَّ أنَّ هذا غير صحيحٍ.

ولذلك فإنَّ الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى يقول**: «قولي صوابٌ يحتمل الخطأَ، وقولك

غيري خطأٌ يحتملُ الصَّواب»، **يعني:** في المسائل الاجتهادية التي يكون الاجتهاد فيها صائغًا لا في مُطلقِ المسائلِ؛ لأنَّ ذلك يكون شكًا بالله عَزَّوَجَلَّ.

فالمقصود أنَّ الإنسان في المسائل الاجتهادية؛ وبالذّات الفُروعية، هو يتعبَّد الله أنَّ القول الذي ذهب إليه باجتهادٍ صحيحٍ أو تقليدٍ سائغٍ؛ صحيحٌ، لكنَّ القول الثَّاني إذا كان الاجتهادُ صائغًا فإنّه مُحتمل الصّواب.

ولذلك فقهاء المسلمين يُراعون الخلاف، ويبنون على مراعاة الخلاف:

أنّه لا يُنقضُ الحُكم أوّلًا.

وأنّهم لا يُؤثِّمون المجتهدَ، «إِذَا اِجْتَهَدَ الحَاكِمُ وَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، فلا يُؤثِّمونه؛ **بل قد يقولون:** إنّ له أجرًا إن بدل ما أوجبه الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وقد يُخطِّؤونه باعتبار معنى آخر، وهذا مسألةٌ أخرى.

وإضافةً لعدمِ التأثيمِ والإثابة وعدم نقض الحُكمِ؛ **أنّهم يقولون:** «أنه يُصلّى خلف ذلك الرّجلِ».

وإضافةً لذلك أنّهُ لا يُحكمُ بفسقهِ، بلا يُحكم بعدالتهِ، لا يُحكم بفسقه لأجل المُخالفةِ في هذه المسائل الفروعية، وغير ذلك ما يتعلق بفقد العدالةِ ويتعلَّق أيضًا بالرِّواية فإنَّه لا يخالف في هذه الأمور.

وأيضًا الأخيرةُ مسألةُ الإنكار؛ فلا يُنكرُ عليهِ.

ومسألةُ الإنكار -كما تعلمون طبعًا -نوعان- تكلمت عنها في أكثر من موضعٍ-، وأنَّ الإنكار إمّا إنكار قولٍ، أو إنكارُ فعلٍ.

والذي يقولون لا إنكار فيه؛ إنكار الأفعال لا إنكار الأقوال.

قوله: (وَصارَ الِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ!)؛ مراد المصنِّف فيما يظهرُ من هذه الكلمة: أنَّ النّاس يقولون: إنَّ الذي يدعو النّاس إلى الرّجوع للوحيين من الكتاب والسُّنة، فإنّهُ يتّهم هذه الاتّهامات.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأَصْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا -وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًا-؛ فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟!).

يقول الشيخ: إن (مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا)، يقول إن من وسائل تحقق الأصل الثاني، وهو الاجتماع، وجوب وجود السمع والطاعة لمن له الولاية، لذلك **قرّر السّلف هذا الأصل فقالوا:** «ولا جماعةَ إلّا بإمامٍ»؛ لا توجد جماعةٌ إلّا بإمامٍ.

وهذا الذي جاء في حديث حُذيفة لمّا **قال له النّبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكَ بِجَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ وإِمَامِهِمْ»، بين الجماعة والإمام تلازمٌ.

وقوله: (وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًا)؛ مُطابقةً لحديث النّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أمر بالسّمعِ والطّاعة «وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًا».

قال: (بَيَّنَ اللهُ هَذَا)؛ **أي:** لهذا الأصل، (بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا)، هذا في الكتاب وفي السُّنَّةِ.

أمّا الكِتاب كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وأمّا في السُّنّة فهذا فيه أحاديث كثيرةٌ موجودة في كتب السُّنةِ التي ذكرها العلماء ونقلوها -عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ-.

قوله: (بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا)، **فأمّا شرعًا:** فهو البيان الشرعيُّ في الكتاب والسُّنّة، **وأما قدرا؛ أي:** بالقدر؛ فإنّه لا تستقيم حالة النّاس إلّا بوجودِ إمامٍ يُرتِبُ أمورهم ويَسُوسهم، لا يصلح الناس فوضى لا سُرات لهم، فهذا هو القدر، إنَّ قدر الله عَزَّوَجَلَّ -لا بُدَّ- وهذا موجودٌ عند كُلِّ النّاس مشرقهم ومغربهم، مسلمهم وكافرهم.

هذا موجودٌ في الأذهانِ أنّهُ لا بُدَّ من وجودِ وِلايةٍ يتَّبعها النّاس، وتستقيم أمورهم بذلك.

ثُمّ قال الشيخ: (**ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟!**)؛ **يقول الشيخ:** إن كثيرًا من النّاس أهمل هذا الأصل، ولم يصبح يُنبِّه عليه، مع أنّ الأصل التّنبيه، **ومن أثر التنبيه ما يتعلّق بيوم الجُمعة، فإنّ الوصيّة بالجماعة وبإمام المسلمين، والدُّعاء لهم.**

وقد جاء في خُطبِ الصّحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمُ- الدُّعاء لأئمة المسلمين، فإنّ ممّا نُقل لنا من خُطبِ الصّحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمُ-: خُطبة أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيها أنّه دعا في آخرها لخُلفاءِ المُسلمين.

وهذا يدلُّ على مشروعية الدُّعاء واستحبابه لهم بالصِّفة، **أي:** بصفة الولاية لهم، هذا ما يتعلّق بالتّنبيهِ.

لمّا أصبح بعض النّاس لا يُنبِّهُ على هذا الأمر ولا يُذكِّر به، صار مجهولًا عند كثيرٍ من النّاس، ولذلك إذا قصّر أهل العِلمِ في بيانِ العلم حتّي في هذه الأمور؛ فإنَّ هذا علامة مخالفة

الناس لهذه الأصول الشّرعية، وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده» على «المُسند»، **أنّ النبيّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حِينَمَا يَتْرُكُ النَّاسُ ذِكْرَهُ مِنْ عَلَى المَنَابِرِ**».

دائمًا النَّاس يتركون العمل بأيِّ أصلٍ من أصول الشَّريعة؛ إذا ترك النّاس التّنبيه له، فإذا تركَ النَّاس التَّنبيه عن أيِّ معنًى وحكمٍ من أحكام الشَّريعة، وترك أهل العلم بيانهُ على أعوادِ المنابرِ وفي مجالس العلمِ، فإنَّ النَّاس يغْفلونَ عنهُ عِلمًا، ويتبعُ ذلكُ مخالفتهُ عملًا، **وهذا معنى قول الشّيخ**: (**ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟!**).

والشيطان أحيانًا يأتي ويسوِّلُ لبعض النّاس فيُفسد الأمرَ أكثر، وقد جاء من غرائب النَّاس من يأتي لأحاديث في «الصّحيحين»، قد جاوزتْ القنطرة في صِحتها، وأجمع علماءُ كما قال جماعةٌ كالذّهبي وقبله الشيخ تقي الدينِّ على صحتها، ثمّ يأتي بعد ألْفٍ ومئتي سنةٍ من حين تصنيف هؤلاء العلماء لها؛ فيُضعِّف أحاديث في «صحيح مسلمٍ» لا لشيءٍ إلا لكون ذلك الحديث يقرّر هذا الأصل: السّمع والطاعة، **ويقول**: لا أصل له، وليس المراد به ذلك.

وهذا من الهوى؛ فإنّ من الهوى أنّ الشّخص يحكمُ ثُمّ يستدلُّ، بل يجبُ أن تستدلّ ثُمّ تحكم، مثل ما فعل أهل الأهواء في تأويلهم صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومثْل ما فعل أهل الأهواء في ابتداعهم أمورًا تتعلّقُ بعدم إفراد العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإنّهم يتأوّلون وينصبون عقولهم لردِّ النُّصوص الواضحة الجليّةِ البيِّنةِ.

قال المصنّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ)

هذا الأصلُ أشار إليه المؤلّف -قبل أن نقرأ تتمة كلام الشيخ-، وهو بيان الفرق بين العلم وما ليس بعلمٍ؛ وهو الجهل، والفرق بين العُلماء ومن ليس بعالمٍ، وما هو الفقهُ، وما ليس بفقهٍ، ومن هم الفقهاء ومن ليسوا بفقهاء.

وهذا النُّصوص من الكتاب والسُّنّة مليئةٌ جدًا في بيان العلم النَّافع وغير النّافع، فإنَّ الأصل في العلم هذا الكتابُ والسُّنة، فكلُّ علمٍ ليس منهما، أو راجعٌ إليهما، أو تدلان على النّفع به في الدِينِ فإنّه ليس علمـًا في الدِّين نافعـًا.

العِلْـــمُ قَـــالَ اللهُ قَـــالَ رَسُـــولُهُ ... قَـالَ الصَّـحَابَةُ لَـيْسَ خُلْـفٌ فِيـهِ

مَـا العِلْـمُ نَصْبُكَ لِلْخِـلَافِ سَفَاهَةً ... بَـيْنَ الرَّسُـولِ وَبَـيْنَ قَـوْلِ سَـفِيهِ

العلم قال الله قال رسوله، هذا هو العلم، الانشغال بالأمورٍ ليست من العلم، وظنُّ أن هذه الموصلة إلى الله عَزَّوَجَلَّ هذا غاية الجهل، ويأتي بين فينةٍ وأخرى من يدعو لذلك.

فيقول إنَّ من النَّاس من يقول: «إنَّ أوَّل ما يلْزم النَّظر»، فقبل معرفتك الكتاب والسُّنة عليك النّظر، ما هو النّظر؟ **يقول**: «ننظر بمنطق تُركَ»، والآن المنطق تطوّر أصبحت النّظريات الفلسفية نظرياتٍ جديدةٍ، وطرائق متعدِّدة، ثمّ بعد ذلك:

نِهَايَـــةُ إِقْـــدَامِ العُقُـــولِ عِقَـــالُ ... .

فالمقصود من هذا الأمر، العلم والفقهُ هو كلام الله وكلام رسوله الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعالم: العالم بكلام الله وكلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **كُلُّ كتب أصول الفقه -بلا استثناءٍ- يقولون**: «ومن شرط المجتهد أن يكون عالمـًا بالأدلّة ومداركها».

العلم بالأدلة: الكتاب والسُّنة.

والعلم بمداركها: دلائل الألفاظ ومعرفة النّاسخِ من المنسوخِ، العامِّ من الخاص، وغير ذلك من الأمور.

العلم قال الله قال رسوله غير ذلك كُلُّه تبعٌ وإن أدّى لغير ما أدّى إليه الكتاب والسُّنة فهو ضلالٌ، إن ناقضه وضادهُ فهو ضلالٌ -ولا شكّ-.

هذا علم الكلام غير نافعٍ، ولذلك يقول صاحب «السُّلم» في مقدّمتهِ، لمّا أراد أن يشرح ما يتعلق بالمنطق:

وابنُ الصَّلاَحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا ... وَقَالَ قَومٌ يَنبَغِي أَن يُعلَمَا
وَالقَولَةُ الصحيحة المَشهُورَهْ ... جَوَازُهُ لِكَامِلِ القَرِيحَه
مُحصن بالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ ... لِيَهتَدِي بِهِ إِلَى الصَّوَابِ

أي: أن تعلّم هذه الأمور لا تنفع إلّا لمن أراد -بعد تحصُّنه بالكتاب والسُّنة- أن يستدلّ به لبعض الأمور، وهذا الذي أقرّه الشيخ تقيُّ الدين، وهذا ليس لكلِّ أحدٍ لا يبتدئُ به، بل يبتدئ كما **قال أحمدُ**: «بالكتاب والسُّنة».

كذلك معرفة الفقه والعالم، **العالم والفقيه يعرف بعدة أشياءٍ، هذه الأشياء متعدِدة:**

من هذه الأمور ما سبق الإشارة إليه -في الدّرس قبل العصر- وهو ثناء أهل العلم، **كان**

الإمام مالك يقول: «لم أفتي حتّى شهد لي سبعون معمَّمًا أنّي أهل للفتوى»، **قال بن ناصر الدّين الدّمشقي لمّا نقل هذا الأثر:** «ولم يكن يتعمَّمُ في المدينة إذ ذاك إلّا فقيهٌ».

مالكٌ ما تنصَّبَ للتَّدريس حتّى شهد له أهل العلم أنّه من أهل العلم، **والنّبيُّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كما في حديث أنسٍ لمّا مُرَّ عليه بجنازتين، قال في الأولى:** «**فِي الجَنَّةِ**»، وفي الثَّانية: «**فِي النَّارِ**»، **ولمّا سُئِل قال:** «**الأُولَى أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا فَوَجَبَت -أي: الجنة-، وَالثَّانِيَةُ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهَا شَرًا فَوَجَبَتْ، أَي: النار**».

فالنَّاس أهل العلم هم الذين يعرفون العلم، ليس عوامهم، وليس أهل الأهواء منهم، ولا أصحاب مصالح الدُنيا هم الذين يعرفون، الذين يعرفون العلم هم عوام النّاس؛ عامّة النّاس، العوام ليس الذين لا يعرفون الاجتهاد، أقصد بعوامهم؛ **أي:** عامتهم، وأخُصُّ منهم أهل الفضل المقدّمون.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

(**وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ**).

قال: (**وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ**)، من انتسب إلى العلم وليس منهُ، من انتسب للفقه وليس منه، وهذه مبسوطةٌ في الكتاب والسُّنة وقرَّرها أهل العلم في كتب أصول الفقه تقريرًا تفصيلا -لا أبالغ إذا قلت- يبغ حدّ التفصيل الجزئيِّ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

(**وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تعَالَى هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿يَٰبَنِيٓ

إِسْرَآءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: ٤٧]، **وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلْعَامِيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، فَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلالاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ؛ هُوَ الفَقِيهِ العَالِمُ**).

الله المستعان؛ وهذا من البلاء أنَّ الشَّيءَ يكون في بعض البلدان أو في بعض الأزمان، وأعبِّر بالبعض لأنّ هذا الدين ظاهرٌ إلى قيام السّاعة كما أخبر النّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا بُدّ أن الحقَّ يظهر، إذ «الحقُّ بيِّنٌ أبلج، والباطل خابِئٌ لجلج».

فلا بُدّ أن يظهر الدين، بل هو ظاهر بعصمة الله عَزَّوَجَلَّ وحفظه لهذا الدين؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فهو محفوظٌ إلى قيام السَّاعة.

ولذلك يقول الشيخ: (**ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، فَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلالاتُ**)، بعض الأماكن وبعض الأزمنة قد يكون العلم المُستمدُّ من الكتاب والسنة هو البدعة، وهو الضلالة، وهذا وُجِد في تصنيفات أُناسٍ في قرونٍ ماضيةٍ، وفي بعض البلدان في قرنِنَا هذا الذي نعيشه، فإنَّهم يُسمُّون من يتمسَّك بالدَّليل ويُنكر على النَّاس بدعهم وما أحدثوه في جَنَاب توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وما أحدثوه من تعظيم الأشخاص سواءً كانوا أنبياء أو أولياء أو غيرهم يعدون ذلك مُنكرًا، **ويقولون:** «إنَه قد خالف ما كُنَّا عليه، وكان عليه فلانٌ وفلانٌ في القرن العاشر والسَّابع والثَّامن»، إن قُلت ارجعوا للقرن الأول والثاني والثَّالث، **قالوا:** «لا، هذا بدعةٌ»، فسمَّوا الأشياء بغير اسمها، وبيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ «**فِي آخِرِ**

الزَّمان يُسَمَّى النَّاسُ الأَشْيَاءَ بِغَيْرِ اِسْمِهَا»؛ يُسمون السُّنة بدعة، والبدعة سنة فهذه غربة الدين.

وإنّ من نِعم الله عَزَّوَجَلَّ أنّ المرء يولد ويعيش في بلد تظهر فيها السّنة، وتُسمى فيه الأشياء باسمها؛ فاحمدوا الله عَزَّوَجَلَّ، نعمةٌ لا يعلم بهذه النِّعمة إلا من فقدها.

نحن في نعمة عظيمةٍ؛ أنّك في بلدٍ ظاهرةٌ فيها السُّنة والأشياء مسماة باسمها، لا يوجد فيها ما يكون من البدع باسم السُّنة، الخطأ يرِد على كل أحدٍ، **لكنّ المقصود** أن الإنسان -كما عبرت عليها قبل قليلٍ- ببعض الأزمان وببعض البلدان؛ وهو أمر نسبيٌّ قد يختلف من مكانٍ لآخر.

ولذلك يقول: (وَخِيَارَ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ)؛ أي: يسمونه زنديقاً أو يقولون مجنونٌ، فيسمون من دعا إلى الكتاب والسنة زنديقاً، أو يقولون: هو مجنونٌ في عقله لوثةٌ.

وكم لُمِز بذلك عشرات النَّاس، من أمثلةِ ذلك من المتأخرين ما نقله الجَبَرْتِي في كتابه «عجائب الآثار» أنَّ رجلًا قام يدعو إلى نبذ تعظيم قبور الصّالحين، ونَهى عن الطّواف بها، فقام به النّاس ورموهُ واتَّهموه بالجنون! **وهذا حقٌّ**، الذي أخبر به الشّيخ حقٌّ؛ أنّ النّاس من يدعو إلى الخير ويُخالفهم، ويتمسّك بالكتاب والسُّنة المبنيِّ على المُقدِّمات الصّحيحة؛ قد يتّهمهُ النّاس بذلك.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ، وَتَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ).

هذا الأصل الخامس؛ وهو: أنّ الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن في كتابه في مواضع كثيرةٍ، ومثله ما جاء في السُّنة في مواضع كثيرةٍ من التّفريق بين الأولياء وبين غيرهم، **لماذا أنا أقول ذلك؟**

❁ **الولاية التي دلّت عليها النّصوص الشّرعية نوعان:**

❁ **ولايةٌ عامةٌ:** لكلِّ مؤمنٍ بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فكلُّ مؤمنٍ وليٌ لله عَزَّوَجَلَّ -بلا استثناءٍ- كُلُّ مؤمن وليٌ.

❁ **ولكنَّ الوِلاية الخاصة:** لمن ازداد طاعةً؛ **يدلُّ على ذلك أنّ النّبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ - أي:** في الحديث القُدسي- **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»، ثُمَّ بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الحديث القُدسي كيف ينال المرءُ ولاية الله ومحبّتهُ **فقال:** «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ**»، فمن أتى بالفرائض وانْكفَّ عن النّواهي؛ وهو أقلُّ حدٍ في الإيمان فإنّه حينئذٍ يكون مؤمنًا فهو وليٌ لله عَزَّوَجَلَّ، «**وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، تزداد الولايةُ**»؛ إذ اجتمعَ لهُ مع مُطلقِ الولايةِ المحبّةُ فتكونُ ولايتهُ أخصُّ، «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَإِنْ اِسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

إذن: هذه الولاية العامة والخاصة؛ العامةُ لمطلق المؤمنين، والخاصةُ في الحديث القدسي؛ ليس كلام زيدٍ ولا عمرو- إنّما تثبتُ الولاية الخاصة للمُتمسّك بأوامر الله، والمُتحبِّبُ إليه بالنّوافل التِي شرعها الله في كتابهِ، وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبناءً على ذلك: فإنَّ النُّصوص بيَّنت الوَليَّ على الحقيقة ومُدَّعي الوِلاية؛ كثيرٌ من النّاس في أعصارٍ متأخِّرةٍ من بعد القُرون الفاضلةِ، أصبحوا يدَّعون الوِلاية وهم إلى ضدِّها أحرى،

يخرج من بعضهم من التَّصرُّفات ما لا يصدُر من مسلمٍ، ويحدثُ من بعضهم من الأقوال والاعتقادات ما لا تخرُج من متقٍي مؤمنٍ بالله عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يزعم أتباعهُم أنّهم أولياءٌ، بل إنَّ كثيرًا ممّنْ يُعّم إلى الآن باسمِ الوِلايةِ يكونُ قد أقام عليه وليُّ الأمرِ في وقتهِ الحدَّ في الزّندقة، الحلّاج فلانٌ فلانٌ كثيرٌ منهم ويدَّعي أصحابه إلى الآن الوِلاية.

ولكنَّ من عرف الحقَّ وتمسّك بالكتاب والسُّنة استطاع أن يُميِّز بين الوليِّ على الحقيقةِ ومن ليس وليًا، ولذلك لمّا ادَّعوا هذه الوِلاية لأشخاصٍ ليسوا من أهلها زادوا في تعظيمهم ما لم يشرعهُ الله عَزَّوَجَلَّ، **كما قال أحد جُهَّالهم:**

مَقَامَ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الوَلِيِّ

فالوليُّ عندهم -عيادًا بالله- أعلى من الأنبياء والمرسلين وهذا -أعوذ بالله- الضّلال، لأنّ هذا ليس وليًا على الحقيقة، إذ الوليُّ المُتّبع يعرف مقام النُّبوّة؛ وإنّما هو تابعٌ للنّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو من أكثر اتّباعًا واتِّساءً به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن من نِعم الله عَزَّوَجَلَّ على المرء أن يعرف هذا الأصل الذي نصّ عليه الكتاب والسُّنة، والنُّصوص فيه متواترةٌ معنى ولفظًا في بيان أولياء اللهِ وأولياءِ الشّيطان، وأنّ الضّابط بينها حدُود اللهِ الواردة في كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ وسنّة نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**وَيَكْفِي فِي هَذَا: آيَةٌ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]).

الله أكبر، هذه جمعتْ كُلَّ شروط محبّة الله عَزَّوَجَلَّ إتباع النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ تحت، كُلّما زادت المُتابعةُ كُلَّما زادت المحبّة، كُلّما قلّت، فلذلك القيدُ متابعةُ النّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذه المتابعة من العملِ؛ والعملُ لا يكون إلّا بعلمٍ، فلا يكون المرءُ أكملَ متابعةً إلّا إذا كان أتمَّ علماً بالنّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبوحي الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (**وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ ؛ **لها معنيان:**

- **الارتدادُ بمعنى**: ترك الدّين بالكُلية.
- **والارتداد عن بعض أجزائهِ.**

فقال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، فبيّنَ أنّ التّمسُّك بالدين؛ هو الذي يكون سبباً محبتهم لله، وحبُّ الله لهم.

ولذلك من اِدَّعى حُبَّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ **أي**: حُبَّ نفسه لله عَزَّوَجَلَّ؛ وقد خالف فعلهُ أمر الله عَزَّوَجَلَّ فهو كاذبٌ في حُبِّهِ، لأنّهُ معاندٌ ومخالفٌ ما علِمه من شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَآيَةٌ فِي يُونُسَ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]).

الله أكبر، نعم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ هم أولياء الله؛ فهذا على البدل،

فتستطيع أن تقول: أنّ جملة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ منصوبةٌ على البدلية، **البدل**: اسم إنَّ أولياء الله.

أي: أنّ أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتّقون لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَى: أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اِتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ!)**.

أعوذ بالله؛ نسأل الله السّلامة، بعض النّاس وهذا تجده في الكتب من نِعم الله عَزَّوَجَلَّ أنّ المرءَ لا يقرأُ شيئًا من كُتبِ هذهِ الفِرقِ المنحلّة وخاصةً في أوّل عُمره.

ولذلك أحمد لمَّا سأله رجلٌ قال: «يجِد الرّجلُ الكتاب فيه أحاديث رَدِيَّةٌ» -تشمل الأحاديث الرّدية؛ لفظا **يعني**: الموضوعة عن النّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو أحاديث ردِيةٌ من حيث المعاني؛ **بمعنى**: أن يكون فيها بعض الرّأي المخالف للكتاب والسُّنة- **قال**: «يُمزِّقُهُ»، يُمزِّق هذا الكتاب.

من يقرأُ في بعض كتابات بعض النّاسِ، ومن إنكارهم هذه المعاني وخاصةً من كان من الخُرافِيينَ، ومن سار على طريقتهم من تعظيم هذا الباب؛ فإنّهُ يحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن هداهُ للسُّنة.

وإذا قرأت ما كتبهُ أحدُ الصّالحينَ؛ وهو بن شيخِ الحزّامين؛ فإنَّ ابن شيخ الحزّامِين كان في القرن السّابع -أدرك الشّيخ تقي الدّين- وكان مَوْصِلياً ثُمَّ دار على أغلب البُلدان، ودخل مع الصّالحين، **حتَّى قيل**: «إنّهُ في زمانه يُسمّى جُنيدَ عصرهِ»، هذا الرّجُلُ، ما من طائفةٍ يدعون لصلاحِ القُلوبِ إلّا ودَخل معهم -في مشرق الأرض ومغاربها- حتّى أنّهُ وصل الأسكندرية

كمّا أخبر عن نفسهِ في رِحلتهِ، ثُمّ قال: «**ثُمَّ بعد ذلك لمّا تطوّفتُ البلدان وعرفتُ النّاس وجدتُ أنّ الطّريق لمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ؛ هو طريق الأثر عند أقوامٍ صالحين**»؛ سمّاهم في وقته.

فالمعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ بالعلم والفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا سمَّاهم من الفقهاء العلماء العارفين بالله وبشرعه، المُتمسّكين بسنّة النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المثْبتين لأسمائه وصفاته ونعوتِ كمالِهِ.

هذه طريق الوحي؛ الكتاب والسُّنة غيرها مهما أتعبت بدنك فإنّك لن تصل لغير حقٍ يوصل إليه الكتاب والسُّنة، فالحمد لله، خُذِ الطّريق القصير، الأَخْصر -كما مرَّ معنا في المتن قبله في صلاة العصر-.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادَ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَلَيْسَ مِنْهُمْ! يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**).

قوله: (**تَرْكِ الجِهَادَ**)؛ **أي**: مجاهدة هذه الأمور، **ولذلك تبث عند أحمد في «المسند» أنه قال**: «**جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِسِنَانِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ، وَقُلُوبِكُمْ**»؛ أو نحوًا ممّا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمن المجاهدة مجاهدةُ أهل الأهواءِ، **فيقول**: فـ (**لا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادَ**)؛ **يعني**: من باب التّهكُم بهم، يقول الشّيخ فلا بُدَّمن ترك الجهاد، فمن جاهدَ في بيان الحقِّ وإظهارهِ وتعليم النّاسِ فليس منهم، ويزعمون أنّه لا بُدَّ من تركِ الإيمان والتّقوى، الإيمان الصّحيح المبنيِّ على الكتاب والسُّنة (**فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى**)؛ **أي**: تعهّد النّاس بالتّبيين لهُ (**فَلَيْسَ مِنْهُمْ! يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**)، ولذلك ترى غربة الدّين من أعظم الغُربة،

وأنا أُكرِّرُها غربة الدّين من أعظم الغربة، فالإنسان يحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن يسّر له رِفقةً صُلحاء، ويسّر الله عَزَّوَجَلَّ له أهلًا صُلحاء نشّؤوه نشأةً طيّبةً، والدكُ ووالدَتكَ لهم عليك من الفضل العظيم ما تعجز عن الوفاء به، أعظم هذا الفضل هو دلالتك على الهُدى، وأن وُلدت مُسلمًا على سُنَّةٍ.

وقد نقل عبد الله عن أحمد أنّ رجُلا قال لأحمد: «اللّهم أمتنا على الإسلام»، فقال أحمد: «على الإسلامِ والسُّنةِ».

فكون أحد يأخذ بيدك من أبيك، أو أمّك، أو قرابتك، أو معلّمك ويدُلُّك هذه نعمةٌ، ولذلك غربة الدّين من أعظم الغُربة، نسأل الله السّلامة.

ولذلك لمّا قالوا الهجرةُ نوعان:

- **هجرةٌ واجبةٌ** نُسخت بفتح مكّة.
- **وهناك هجرةٌ خاصةٌ** لمن لم يستطع إظهار دينه، نسأل الله العفو والعافية.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ؛ وَهِيَ: أَنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَهُوَ المَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا -أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرٍ!-، فَإِنَّ لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ؛ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا -لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ!-).

هذه المُصنِّف يقول: من الأصول التي جاء بها الكتاب والسُّنة بيانُ أّ الدين واضحٌ، **«تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَّةِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»**.

فالدّين واضحٌ بيِّنٌ كالشّمسِ يعرفه الصّغير والكبيرُ، الرّسول كان يتكلّم أمام أُناسٍ صحِبوهُ يومًا أو يومين فأسلموا وأخذوا الأصول، وكانوا أكبر النَّاس فضلًا ومكانةً؛ وهم الصّحابة.

ومرَّ معنا قصةُ الطُّفيل بن عمرو وكيف أنّهُ أسلمَ، فأسلم بإسلامهِ قومٌ؛ فآمَّ عظيمٌ؛ منهم أبو هُريرة، وهو لم يجلس مع النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلّا عَصريةً واحدةً، فالدِّينُ واضحٌ وبيِّنٌ.

نعم إنَّ من الدِّين ما لا يفقهُهُ إلّا العلماء؛ ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ **هناك قِراءتان ثابتتان إمَّا الوصل أو الوقفُ:**

فحيثُ قُلنا بالوصل فإنَّ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يعلمهُ إلَّا اللهُ والرَّاسخون في العلم، **وهذا الذي قالهُ ابن عبَّاسٍ**: «القُرآنُ أربعةٌ: منهُ ما لا يعلمهُ إلَّا الله، ومنه ما يعلمهُ كُلُّ النَّاس، ومنهُ ما لا يُعلمُ إلَّا بلسان العرب، ومنهُ ما لا يعلمهُ إلّا الفقهاء والعلماء»، فهو أربعة أقسامٍ، نقل هذا الأثر ابن جريرٍ في تفسيرهِ.

فالمقصود من هذا الكلام أنَّ العلم واضحٌ بيّنٌ، وهناك جزئياتٌ جعلها الله لأهل العلم ليتمايزوا ويتفاضلوا.

ولذلك النّاس ليسوا في درجةٍ واحدةٍ في الجنَّة، فالجنَّة درجاتٌ كما أنَّ النَّار دركاتٌ، والعلم منه ما هو واضحٌ وهو الأصول، ومنه ما هو خفيٌ يعرفه الخواص؛ السُّنن أغلب النّاس لا يعرفها إلّا بتعلُّمٍ، فيكتشفها إلّا بمعرفة بعض السُّنن التي لا تظهر لكلِّ أحدٍ.

فالمقصود من هذا أنَّ الدِّين واضحٌ وبيِّنٌ، والله عَزَّوَجَلَّ لا يُخاطبنا بما نعجز عنه.

ثُمّ ذكر الشّيخ كلمةً **وهي أنَّ كثيرًا من النّاس يقول**: «لا يجوز الاجتهاد والكلام إلَّا للمجتهدِ المطلقِ»، وذلك أنَّ بعض النَّاس من العلماء قسَّم طبقات الفقهاء إلى خمسٍ؛ وعدّ الطّبقة الأولى: المجتهد المُطلق، **قالوا**: «والمجتهد المطلقُ الذي يكون مجتهدًا في جميع أبواب الفقه ومسائله، ويجب أن يكون عالمـًا بالكتاب وبالسُّنة، وبلغة العرب وبناسخه ومنسوخهِ، وبالنَّحوِ»؛ وبأمورٍ كثيرةٍ جدًا.

هذه الأمور ذكر بعض المتقدّمين **ومنهم القفَّال الشّاشِي الشّافعي قال**: «إنّ هذه الشُّروط التي يُوردها الأصوليون في المجتهد؛ هذه أعزُّ»، يقول هكذا أعزُّ من «الكبريتِ الأحمرِ»، **أي**: نادرةٌ جدًا، **علَّق المُنَاوي لمَّا نقل كلام القفّال الشّاشي**: «والقَفَّالُ من أكبر عُلمائنا - **أي**: الشّافعية- وإليهِ تُنسبُ طريقةُ المَراوِزَة -طريق من الشّافعية منسوبة لهذا الرّجل- مع ذلك هذا الرّجل يقول: هذه نادرةٌ»، ما تكادُ توجد، لم أرى أحدًا بهذه الصِّفة.

ولذلك فإنّ الصّواب أنّ هذه الشُّروط وإنْ ذُكرتْ تَخوِيفًا على التَّسَوُّر على القولِ بشرع الله عَزَّوَجَلَّ بغير ما هو واضحٌ، إلَّا أنّ القيود فيها أخفُّ؛ وهذه فُصِّلت في كتب أصول الفقه، ومرّت معنا أكثر من درسٍ؛ دروس أصول الفقه فيها أكثر تفصيل.

والمُصنِّف قال كلمةً جميلةً: **لعلَّ هذه الأوصاف لا تُوجد تامَّةً إلَّا في أبي بكرٍ وعمرٍ فقط؛** **يعني**: حتَّى عثمان وعلي ما أدري، لا شكَّ أنّ أبا بكرٍ وعمر وعثمان وعليٌ هي موجدةٌ بهم بإجماعٍ -لا شكَّ- هؤلاء الأربعةِ مجمعٌ عليهم، لكنَّ الشّيخ من باب التّهكُّم بهم.

فهو في هذه الرّسالة يأتي بلفظ التّهكم، والبيان بالتّهكم موجودٌ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا؛ فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ لِأَجْلِ**

صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا!).

نعم هذا تهكُّمٌ عليهم؛ أنّهم يزعمون أنَّ من أراد القراءةَ في الكتاب والسُّنة مباشرةً؛ فهو (**إِمَّا زِنْدِيقٌ**)؛ لأنّه سيأتي بقولٍ بخلاف ما نعرفه في الكتاب الفُلاني والعلاّني، (**وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا!**)، هكذا يزعمون، وقد كذبوا.

ولذلك أوّل أسماء الله وصفاته؛ **الله** عَزَّوَجَلَّ **يقول:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣]، **ما معنى الرّحمن الرّحيم؟** ما أدرِ، قد يكون الخالق، قد يكون الرّازق، قد يكون الرّحمن، -أنا لا أريد أن آتي بأمثلةٍ أخرى-، لكن لها معاني لا نعرفها، الله خاطبنا بكلامٍ لا نفهمه، هذا كلامٌ لا نعرفهُ، وهذا أشدُّ أنواع التّفويض خُبثًا؛ **الذي يقول:** «لا نعرف معنى دلائل الألفاظ»، هذا سيءٌ جدًا، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٥]، **وهو يقول لك:** «لا، بلسانٍ عربيٍ غير مبينٍ لا نفهمهُ»، ولا يُوجد أحدٌ من النَّاس يفهم هذا الكلام؛ هذا شرٌّ.

ولذلك التَّفويض ليس منزلةً واحدةً وإنَّما درجاتٌ، وغيرها قسهُ في أحكامٍ كثيرةٍ ومسائل كثيرةٍ.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، وَخَلْقًا وَأَمْرًا**).

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَاتِ العَامَّةِ**).

قوله: (**بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَاتِ العَامَّةِ**)، **الضّروريُ**: هو الذي يُعلم اطّرارًا، ومن طُرق الوصول إلى الضّروري أن يكون بأحد الحواسِّ الخمس، أو أن يصل إلينا بالتّواتر، **فالتّواتر**: هذا من وسائل العلم الضّروري.

فقوله: (**حَدِّ الضَّرُورِيَاتِ العَامَّةِ**): أي: أن العلم ضروريٌّ، **لأنّ العلم نوعان**: ضروريٌّ وكسبيٌّ، العلم معروفٌ -كما تعلمون في علم الجدل وغيره- العلم إمّا ضروريٌّ أو كسبيٌّ، **وهنا يقصد به العلم الضّروريُ والدّالُ على هذا العلم الضّروريّ**: هو التواتر المعنوي الذي ابتدأت به الحديث في أّول كلامي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى**:

(**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**).

كذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى**:

(﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ٨ - ١١].

آخِرُهُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ).

الله أكبر، **يعني**: هذه الآية آيةٌ عظيمةٌ جدًا جدًا، **وهنا من المسائل المُهمّة قرّرها جماعةٌ من أهل العلم المتقدِّمين أنّ**: الآية وإن نزلتْ أصلها في الكافر؛ فإنَّ فيها معنًى مشتركًا مع

المُخالف المعاند في بعض صُورِها، قرَّرهُ جماعةٌ من التَّابعين كالعلاء، وأوردهُ الشَّيخ تقيُّ الدِّين في موضعٍ أو موضعين.

وبناءً على ذلك: فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ [يس: ٧]، **أي**: من ترك الدّين بالكُلِّيّةِ أو خالف في بعضِ الصُّور المبتدعة سواءً فيما يتعلّق بالإلهية، أو في الرُّبوبية، أو في الأسماء والصّفاتِ؛ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٧ – ٩]؛ فجعل بينهم وبين الوُصول إلى الحقّ سدًا مانعًا يمنعهم من الوصول إلى الحقِّ، ولذلك احمدِ الله أن دلّك إلى الحق.

الحمد لله أن أحيانا على الإسلام والسُّنة، كون الله عَزَّوَجَلَّ دلّك لطريقٍ لم يدلُّ عليه كثيرًا من النّاس لا لفضلٍ فيك، ولا لذكاءٍ عندك، ولنباهةٍ، ولا ليَدٍ هذا فضل الله يُؤتيه من يشاء؛ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧]؛ الله هو الذي يمنُّ عليك.

الحمد لله، اِجعل حمد الله عَزَّوَجَلَّ ديدنكَ، صُبحكَ وعشيّك، أوَّل نهارهِ وآخرهُ، في رقودك وقيامكَ أن هداك اللهُ عَزَّوَجَلَّ، والله ليس بذكاءٍ، والله ليس بنسبٍ، والله ليس بأيِّ شيءٍ لك؛ ما الأمر بينك وبين الله؟ لا شيء، الله اختارك للإسلام، ودلّك على السُّنة هذه نعمةٌ اِحمد الله، اِحمد الله كم من راغبٍ في الحقِّ لم يُصبهُ؛ وهو تحت مشيئةِ الله، كم من عارفٍ للحقِّ عاندهُ، كم من تاركٍ للحقِّ لهوًى.

فاحمد الله أن دلَّك للخير والهُدى، ومعرفة الطّريق السّويِّ؛ الطّريق الدّالِّ عليه ﴿ٱلْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٦].

فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يدلّنا على الهُدى والدّين، وأن يُرينا الحقَّ حقًا ويرزقنا اتِّباعه، وأن يُرينا الباطل باطِلًا ويرزقنا اجتنابهُ.

وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصّالح، وأن يتولّانا بهداهُ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين.

تَمَّ إِقْرَاءُ الكتاب فِي مجلسٍ واحدٍ
بعد مغرب السّبت في السابع والعشرين من شهر اللّٰه المحرم
سَنَةَ ثلاثٍ وأربعين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
بمسجد سعيد بن زيد بحي الأندلس بالخرج


فوائد